

مرايا الذات والآخر لكتاب "1948" للأديب "يورام كنيوك"

نموذج من الأدب الصهيوني

The Mirrors of the Self and the Other in the Book "1948", Written by Yuram Knyuk: A Sample from the Zionist Literature

Sawsan Ahmad Nabresi

Lecturer\ An-Najah National University\ Palestine

sawsannabresi@hotmail.com

سوسن أحمد نبريسي

أستاذة محاضرة/ جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين

Received: 26/ 1/ 2021, Accepted: 6/ 9/ 2021.

DOI:10.33977/0507-000-059-004

<https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy>

تاريخ الاستلام: 26/ 1/ 2021م، تاريخ القبول: 6/ 9/ 2021م.

E-ISSN: 2616-9843

P-ISSN: 2616-9835

وذاكرة يهودية.

ومن الجدير ذكره منذ البدء أن الأدباء والباحثين اليهود الإسرائيليين حين يكتبون أدبهم و مقالاتهم فإنهم يكتبونها من وجهة نظر يهودي ينتمي للإطار المؤيد لإسرائيل والصهيونية. (غرة، 1991، 25)

أساسيات الدراسة

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ◆ ما هي نظرة اليهودي إلى الفلسطيني؟
- ◆ ما هي نظرة اليهودي إلى نفسه، وإلى اليهودي القادم؟
- ◆ مقارنة بين صورة الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1948؟

◆ ما وجهة نظر «يورام كنيوك» لحرب 1948؟

أهداف الدراسة

تروم هذه الدراسة من خلال تحليل كتاب 1948 إلى بلوغ الأهداف الآتية:

- ◆ التعريف بيورام كنيوك وكتاب 1948.
- ◆ معرفة نظرة اليهودي إلى الفلسطينيين.
- ◆ معرفة نظرة اليهودي إلى نفسه، وإلى اليهودي القادم.
- ◆ معرفة حال الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1948.
- ◆ معرفة وجهة نظرة «يورام كنيوك» لحرب 1948.

أهمية الدراسة

- ◆ يمكن القول بأن أهمية هذه الدراسة تكمن في النقاط الآتية:
- ◆ إلقاء الضوء على نموذج من نماذج الأدب الصهيوني.
- ◆ التعرف إلى فكر أحد الأدباء الإسرائيليين الذين شاركوا في حرب 1948.
- ◆ تقديم صورة عن الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1948.

منهج الدراسة ومكوناتها

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التفسيري، واستندت على منهج المرايا المتقابلة. وجاءت الدراسة في مقدمة ومحورين وخاتمة، عرّف المحور الأول: بحياة الأديب «يورام كنيوك» وكتاب «1948»، وتناول المحور الثاني: صورة الأنا والآخر خلال 1948؛ أولاً: نظرة اليهودي إلى الفلسطينيين، ونظرة اليهودي إلى نفسه، ونظرة اليهودي إلى اليهودي القادم، ثانياً: في الحديث عن حال الفلسطيني في الحرب، وحال اليهودي في الحرب، ثالثاً: عن نظرة «يورام كنيوك» للحرب، وانتهت الدراسة بخاتمة.

مصطلحات الدراسة

◀ الصهيونية: هي « اسم لحركة وأيديولوجية تقدم نفسها

المُلخَص:

درست الباحثة مرايا الذات والآخر في الكتاب المعنون «1948» للأديب «يورام كنيوك»، ومهدت لذلك بالتعريف بالمؤلف والمؤلف، وكشفت عن نظرة اليهودي إلى الفلسطيني في الحرب، وتوقفت عند نظرة اليهودي إلى نفسه، وعند نظره إلى اليهودي القادم إلى أرض الحرب، وأيضاً نظره؛ أي «يورام كنيوك» إلى الحرب، وأظهرت حال الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1948، الحرب التي يُعَوَّل عليها هذا الكتاب.

الكلمات المفتاحية: الأدب الصهيوني، صورة الفلسطيني، صورة اليهودي، يورام كنيوك، حرب 1948.

Abstract:

The researcher studied the mirrors of the self and the others in the book entitled "1948", written by Yuram Knyuk. The researcher introduced the author and the book first, then revealed the Jew's view of the Palestinian during wars, of himself, and of the Jews coming to the war zone, in addition to Knyuk's view of the war. Moreover, she revealed the status of both the Palestinian and the Jews during the 1948 war, where the author has stopped at.

Keywords: Zionist literature, the Palestinian image, the Jew's image, Yuram Knyuk, the 1948 war.

المقدمة:

إن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة تكاملية لا انفصال فيها، فاللغة ترفع الستار عن الأفكار الداخلية التي تسبح في خيال الإنسان، وبالتالي تكشف عنه، وهذا ما عبر عنه سقراط بقوله: «تكلّم حتى أراك»، فيمكن القول إن اللغة وعاء الأفكار، والعلاقة وطيدة بينهما؛ إذ إن الوصول إلى فكر الإنسان يكون بتتبع حديثه، وإذا أردنا فهم قوم ما، نبدأ بتعلم لغتهم، وبالتالي نتمكن من قراءة كتاباتهم وفهم أفكارهم، وهذا ما يتجلى في المقولة الدارجة «من تعلم لغة قوم أمّن مكرهم»، هذا بالفعل ما تترجمه أفعال المستشرقين عند عكوفهم على دراسة اللغة أولاً، وبعد ذلك يصلون إلى مرادهم. ولما كانت العربية والعبرية من اللغات السامية، وللساميات خصائص مشتركة، هذا بدوره عزز اليهود على دراسة توأم لغتهم؛ العربية، وبذلك تمكّنوا من الوقوف على رؤى العرب وتصوراتهم وأبعادهم، وبالتالي السيطرة عليهم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل نحن عند قراءة الأدب الصهيوني نحلل ونفكر بالطريقة ذاتها التي يحلل بها اليهود أدبنا؟، في الحقيقة هذا السؤال يقف وراء اختيار الباحثة الحديث عن الأدب الصهيوني في الدراسات المقارنة، وقد اختارت الباحثة كتاب «1948» للأديب «يورام كنيوك» موضعاً للبحث والدراسة. فقد كان للعنوان دورٌ في جذب الباحثة إليه، فهو تاريخ أبلغ من الكلام عنه، فمَن تقع عيناه على صفحة الغلاف والعنوان يقف متسائلاً ماذا عساه يقول الكاتب؟ ويدفعه الفضول للقراءة حين يرى أنه بقلم

تطوره الكائنات البشرية، أفراداً كانت أم جماعات وتتبناه إلى نفسها. ويتكون هذا النسق التصوري من مجموعة من الخصائص الفيزيائية والنفسية والاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالعقائد والأهداف والقدرات التي يعتقد الأفراد أو تعتقد الجماعات أنها تتم بها» (أبو العينين، 1993، 93)

◀ الآخر

عرّفه الدكتور شاكر عبد الحميد بقوله: «إن الآخر قد يكون أحد الأفراد أو يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم. فالآخر قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً، وقد يكون صديقاً وقد يكون عدواً. وقد يكون عدواً نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه». (عبد الحميد، 1996، 63)

وعرّفه عمرو عبد العليّ علام أنه "عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، ينسبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على (الأنا) من شأنه أن يطلق على (الآخر) أيضاً، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف - سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء - مع (أنا أخرى)، تكون الأخيرة هي (الآخر). (عمرو، 2005، 17)

◀ المرايا المتقابلة: ويُقصد به «حين يكتب المرء عن صورة شعب، أو طائفة أو جماعة، في أدب شعب آخر على دراسة صورة المتكلم والجماعة التي يمثلها لذاتها ولآخرها، وعلى تصورهما لتصور الآخر لها، بل وتصور الآخر لذاته». (الأسطة، 2013)

الدراسات السابقة

هناك كثير من الدراسات الجادة التي تناولت صورة العرب واليهود في الأدب العربي والعبري على السواء، ولما كانت الدراسة تتناول الأدب الصهيوني، فقد اقتصرنا على عرض الدراسات التي تناولت الأدب الإسرائيلي، من هذه الدراسات:

■ حوماني دارين (2021): الفلسطينيون في الأدب الإسرائيلي
ضور متسلل لضمير غير متطهر.

■ عيساوي كريمة (2021): صورة الآخر الفلسطيني في الأدب العبري الحديث.

■ الجبوري عبد الوهاب (2018): صورة العربي في أدب الحرب العبري، وقد صور العرب خلال ثلاثة أزمان، قبل 48، وقبل 67، وبعد 67، وذكر أن صورة العربي سلبية، فقد صورته متخلفاً بعيداً عن النظافة والتحضر.

■ وتد ميسرة (2018): صورة العربي في الرواية العبرية الإسرائيلية (2005_2016)، رسالة ماجستير، وقد هدفت إلى معرفة الانشاقات في المجتمع الإسرائيلي، والقاء الضوء على واقع الأقلية العربية فيه.

■ إبراهيم رزان (18 / 2 / 2014): النظر في مرايا الآخر: صورة العربي في الرواية الإسرائيلية.

■ دوايشة محمد (2010) صورة العربي في الرواية الإسرائيلية، وقد عرضت في مؤتمر بعنوان (دور الأدب منصة للتفاعل الحضاري) في جامعة مؤتة، وقد هدفت إلى معرفة الرؤية إلى -العربي- في الرواية القصصية الإسرائيلية من خلال بعض

على أنها تعبر عن رغبات الشعب اليهودي وطموحاته في العصر الحديث، وفي مقدمتها «العودة» إلى «أرض إسرائيل» على حد تعبير هذه الحركة. والحركة في أسسها العملية قريبة من الحركات الاستعمارية التي انتشرت في القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، وأول من استعمل هذا المصطلح كان المفكر والكاتب اليهودي نتان برينبوم (1864_1937، (مقتبساً المصطلح من كلمة (صهيون) للإشارة إلى الحركة المتجددة التي تؤيد عودة أمنيات الشعب اليهودي إلى فلسطين وتحقيق أحلامه مع العلم أن برينبوم نفسه قد انخرط في حزب (اغودات إسرائيل) المتدين وأصبح من كبار معارضي الصهيونية، لكون حزبه لا يؤمن بـ (العودة) السياسية إلى فلسطين. والواقع أن الصهيونيين استطاعوا الاستفادة من المعتقدات الدينية وتسخيرها لخدمة التوجهات السياسية التي نادى بها الحركة الصهيونية. تعود جذور الصهيونية إلى قرون ماضية من حيث أشكال التعبير، إذ ظهرت حركات يهودية تنادي بـ (العودة إلى أرض إسرائيل)، وكانت هذه الحركات تثيري الحماس في نفوس اليهود بأن الخلاص قريب جداً، مستغلة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مر بها اليهود في مختلف الدول التي حلوا فيها. والواقع أن مجيء اليهود إلى فلسطين في السابق كان لأهداف دينية مثل الحج والتبرك من قبور الأولياء والصديقين اليهود أو للموت والدفن في الأرض المقدسة. ولكن من الواضح أن مثل هذا التوجه قد تغير ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أعقاب ظهور تيارات وحركات فكرية وسياسية وأدبية يهودية ثم صهيونية دعت بوضوح إلى الهجرة إلى فلسطين على أساس قومي لتجسيد فكرة (إعادة بناء صهيون) و (تحقيق آمال الشعب اليهودي بالعيش في وطن أجداده). (منصور، 2009، 292)

وقد عُرِفَتْ أيضاً بأنها "حركة يهودية تاريخية استغلت شيوع ما يسمى بالمسألة اليهودية، وهدفت إلى حلها بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، لتعتلي مسرح الأحداث التاريخية المتوترة إبان فترة تكوينها كحركة ثم يسدل الستار في النهاية بتحقيق هدفها الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل بعيداً عن الشتات التي عاشها اليهود" (عمرو، 2005، ص15)

وعُرِفَتْ أيضاً أنها: "حركة داخل التشكيل السياسي والحضاري الغربي، تنظر إلى اليهود من الخارج بوصفهم فائضاً بشرياً، فهم بقايا الجماعات الوظيفية اليهودية التي فقدت وظيفتها وجمعها، وتحولت إلى شعب عضوي منبوذ، وفائض بشري لا نفع له". (المسيري، 1999، 6/ 89)

وقيل إنها "نبتت في أواخر القرن التاسع عشر، هذا القرن الذي شهد يقظة عارمة للقوميات المختلفة في أوروبا. ولقد كان للنجاح الذي حققته هذه القوميات في إيجاد أوطان لها وفي اعتراف الآخرين بحقوقهم، قد دفع اليهود إلى البحث عن وطن لحل مشاكلهم جميعاً، أسوة بباقي الأمم" (فرحات صفا، 2016، 19)

◀ الأدب الصهيوني: هو «الأدب الذي كُتِب ليخدم حركة استعمار اليهود لفلسطين سواء أكتبه يهود أو كتاب يعطفون، لسبب أو لآخر، على الصهيونية ويخدمها مباشرة أو غير مباشرة». (كنفاني، 1982، 13، 14).

◀ الأنا: عبارة عن منظومة سيكولوجية اجتماعية تتحدد بطبيعة تطورية خاصة حيث إن صورة الذات هي نسق تصوري

هو كاتب وروائي إسرائيلي شهير، وصف بشكل مميز من خلال كتاباته الواقع الإسرائيلي، ودمج بين الممكن وغير الممكن، بين الواقع والخيال، ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأخرى. فقد أصدر ما يقارب عشرين رواية، ونشر العديد من الكتب منها: قصة حب جديدة، واليهودي الأخير، 1948، الأرض ذات الوعدين بالاشتراك مع الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي، وكتاب بلوغ سن الرشد، وأدم ابن الكلب، و (الهابط الى فوق) العام 1963، وعمله الأديب (عربي جيد) العام 1948 والذي يتطرق الى علاقات العرب واليهود. ونشر أيضاً عشرات المقالات الأدبية والفكرية في الصحافة الاسرائيلية.

توفي بتل أبيب بمرض السرطان، عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عاماً في حزيران عام ألفين وثلاثة عشر، ولم تكن له جنازة لوصيته باستخدام جثته لأغراض البحث العلمي. (جونى منصور، 2009: 361، 362)، (2013): وفاة الكاتب الإسرائيلي الشهير يورام كنيوك، وكالة وطن، استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي الشهير يورام كانيوك (kuwait.tt). (2013): وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كنيوك المناضل للسلام والعلمانية، وكالة عمون الإخبارية، استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك المناضل للسلام والعلمانية | الثقافة | وكالة عمون الإخبارية (ammon-2013). (news.net): وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك عن 83 عاماً، وكالة الوسط البحرينية، استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك عن 83 عاماً | دولية - صحيفة الوسط البحرينية - مملكة البحرين (2013). (alwasatnews.com): وفاة كاتب إسرائيلي "مناضل للسلام"، وكالة سكاى نيوز، استرجعت من وفاة كاتب إسرائيلي «مناضل للسلام» | أخبار سكاى نيوز عربية (skynewsarabia.com)

ثانياً - كتاب «1948»

عمل أدبي للأديب اليهودي «يورام كنيوك»، يتخذ من حرب «1948» محوراً لحديثه، فقد تحدث عن تجربته الذاتية في مشاركته في الحرب، واحتلال فلسطين، ويأتي على تهجير الفلسطينيين وطردهم لتقوم على أنقاضهم دولة الآباء والأجداد كما يزعمون، وبذلك ليدعموا قولهم: «أرض بلا شعب» فيما بعد، وأيضاً وقف على الركن الذي تستند إليه إسرائيل في قيام دولتها؛ اليد الخفية المساندة لها، وسلط الضوء على قلوب اليهود الذين يضرّبون الفلسطينيين، وكأنه وراء عذابهم واضطهادهم وتشردهم، وأبان عن حقدهم للعالم أجمع. كل ذلك وأكثر نجده وتستطيع الحصول عليه من كتب التاريخ التي تتحدث عن ذلك، لكن الشيء المختلف في هذا المؤلف أنه بقلم يهودي وذاكرة يهودية أولاً، وبحلة أدبية وهي فن السيرة ثانياً.

قدّم الكاتب في كتابه صورة للفلسطيني وللإسرائيلي على السواء، وقد تحدث عن الإيجاب والسلب في كل منهما، مخالفاً بذلك الصورة النمطية لليهودي الذي ينظر إلى الفلسطيني بعين واحدة وبمنظار أسود، ويسعى جاهداً إلى تقديمها للقراء أشبه بجرعة دواء يجب الابتعاد عنها وتجنبها.

والقارئ لكتاب «1948» يخلُص إلى أنه يعرض جانباً من حياة مؤلفه؛ «يورام كنيوك»، فيضع تحت عين المجهر فترة

الأعمال الروائية التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها، وقد قدّم الصورة من خلال ثلاث مراحل، مرحلة ما قبل 1948، ومرحلة 1948_1967، ومرحلة بعد 1967، وقد جاءت صورة العربي بشكل عام وفي المرحلة الأولى وهي التي تلتقي مع دراستي سلبية، فقد صور الأدب النثري الإسرائيلي فلاحاً بدوياً مخيفاً غريباً.

■ أيوب محمد (2005): صورة العربي في الأدب العبري، وقد قدّم صورتين سلبية وأخرى إيجابية، حاول بالأخيرة تقديم صور فردية عربية، بدلاً من الشخصية النمطية.

■ خاص: مجلة فكر الثقافية (1/ 7 / 2018): صورة العربي في الأدب الصهيوني، وقد تحدث عن الأدب الصهيوني بعد عام 1948، وعن الشخصية العربية في الأدب الصهيوني أو الأدب العبري الحديث.

■ الصوّاف محمد توفيق (30 / 3 / 2006): صورة العربي في الأدب الإسرائيلي «حطب لإسرائيل الملتهبة طمعاً»، وقد تحدث عن الصورة النمطية للآخر، وأبرز العوامل المكونة لصورة العربي في الأدب الإسرائيلي، وقف على ملامح العربي في الأدب الإسرائيلي.

التعقيب على الدراسات السابقة

- لوحظ أنّها دراسات أحادية الجانب، ومن هنا فإنّ هذه الدّراسة تسعى إلى تقديم صورة متقابلة عن الأنا والآخر من خلال فن أدبي نثري واحد، ومخصّصاً لحرب 1948.

- وظّف الأدباء الإسرائيليون لفظة عربي، ولم يستخدموا لفظة فلسطيني، الأمر الذي يدعم ويعزز أهدافهم، بأنّ أرض فلسطين فارغة من الفلسطينيين.

- اتفق الباحثون على أنّ الأدب الإسرائيلي صورّ العربي صورة سلبية.

- ومن الجدير ذكره أنّ الحديث عن كتاب «1948» للأديب «يورام كنيوك» لم ينل قسطاً وافراً من الدّراسات والأبحاث إلاّ مقالين للكاتب الناقد عادل الأسطة نشرهما في جريدة الأيام. وقد اعتمدت الباحثة في القراءة والتحليل النسخة المترجمة إلى العربية، ترجمة جورج جريس فرح.

المحور الأول: يورام كنيوك، وكتاب «1948»

أولاً - نشأة يورام كنيوك وحياته، وأعماله، ووفاته.

علم من أعلام الأدب العبري، وُلد في الثاني من أيّار عام 1930 في مدينة يافا لأب ألماني وأم سويسرية، انضمّ إلى الحركة «بالمح» الصهيونية في شبابه، و شارك في حرب 1948، التي أصبحت أحد روافد عمله الأدبي المثمر، وهو ابن السابعة عشرة، وسرعان ما انضمّ إلى حركة «هوشمير هتسعير» وغداً واحداً من أبرز منتقدي الدولة اليهودية والإسرائيلية، فكان مناضلاً للسلام، ومن دعاة التعايش بدولة مزدوجة.

شارك في حرب 1948 و أصيب إثرها بجروح، الأمر الذي دفعه للانتقال إلى نيويورك، لكنّه عاد إلى إسرائيل مرة أخرى عام 1961. وأيضاً هو من أصحاب فصل الدين عن الدولة، وشهد التاريخ حدث تحوله من الديانة اليهودية إلى اللاديانة.

وهي خمسة أشهر، وأيضاً لأن المؤرخ يسرد التاريخ لإيصال حقائق تاريخية، بينما الأديب يُنطق التاريخ لمعايشة التجربة والشعور، وهذا في الحقيقة ما يشعر به القارئ للقصص القصيرة والروايات، فيخيل إليه أنه في الحدث ذاته، وتسيطر عليه المشاعر والأحاسيس ذاتها التي تسيطر على شخصيات العمل الأدبي.

- الأسلوب

يقوم الكتاب على التذكر والاسترجاع بأسلوب سردي شيق، ولا نعدم أيضاً أسلوب الرسائل (التي كانت ترسل من إسرائيل إلى يهود العالم ليسارعوا إلى المجيء إلى أرض فلسطين/ إسرائيل قبل أن يموتوا موتاً)، وأيضاً نلاحظ أسلوب الحوار بين الجنود في خضم المعركة، والحوار بين الفلسطينيين واليهودي.

- السرد

ما أن يشرع القارئ بالقراءة حتى يلحظ أنه المؤلف ذاته هو من يتكلم ويتحدث ويسرد مجرى الأحداث كما مرَّ بها، وهناك مواطن عدة تجلى فيها ذلك، ففي رسالته إلى الطفل اليهودي في ألمانيا يقول: «أيها الطفل اليهودي العزيز، أكتب إليك، أنا يورام ك. من المدرسة النموذجية في تل أبيب. أهرَّب سريعاً وتعال إلى أرض إسرائيل، لأنك إذا لم تفعل، موتاً تموت» (كنيوك، 2011: 57)، وفي صفحات متأخرة يقول: «... وعلى الباب، ما برحت قائمة.. كتابة باهتة: «يورام غير موجود، سافر إلى باريس» (كنيوك، 2011، 235)

- اللغة

قام «جورج جريس فرح» بترجمة الكتاب من اللغة العبرية إلى العربية، وكانت اللغة سلسلة واضحة مطيعة له، مازجاً بين الفصحى والعامية، ففي الحوار مثلاً يتحدث بالعامية.

المحور الثاني: صورة الأنا والآخر في كتاب 1948

أولاً - صورة الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1984

■ أ. كيف نظر اليهودي إلى الفلسطيني؟

الفلسطيني في عين اليهودي كاذب لسانه معوج، وهو عدوه الأول والأخير، وواضح وضوح الشمس وسط النهار، ويراها أيضاً قدراً عليه الابتعاد عنه، وأن مجيئه إلى هذه الدنيا لم يكن إلا لهدف واحد وهو قتل اليهود، وقد تجلى ذلك في أثناء حديثه عن أول قتل فلسطيني رآته عيناه، قوله: «فقد توسل وبكى وقال بالعبرية إنه ليس من أطلق النار، وإنه تواجد هناك خطأ، لقد صدقت أقواله، بدا مسكيناً مرتبكاً ذليلاً. لكن أحداً لم يصدقه، فما قد وقع بين أيديهم عدو مبين. تهافت آخرون، ألقوا بالبوظة على الأرض، وانهلوا بالضرب على العربي» (كنيوك، 2011، 54)، وقوله: «راح يدفعني ويصيح أمراً أن أبتعد عن العربي القذر لأنه جاء ليقتلني، قال إنهم يولدون من أجل أن يقتلونا» (كنيوك، 2011، 54) من منظر أسود ينظر اليهودي إلى العربي، وليس العربي فحسب، وإنما إلى كل الآسيويين ينظرون نظرة دونية واشمئزاز واحتقار، وذلك بقوله: «... قالوا إننا آسيويون! ونظروا إلينا باحتقار، فهم أتوا من أوروبا» (كنيوك، 2011، 59).

صَوَّر اليهودي الفلسطيني عندنا حين هبَّ للدفاع عن

مشاركته في حرب 1948، يتحدث معتمداً على ذاكرته عن مجريات الحرب وعن مشاركته وعن الضربات التي كادت أن تودي بحياته، ويكشف أيضاً عن مواقف من الحرب والدولة، وأبان عن سبب كتابته، وذلك بقوله: «بعد ذلك بسنوات كثيرة، ...، وقد غدوت كهلاً وبعد مرض شديد، طلبت مني التحدث إلى طلاب شباب عن الحرب... تحدثت... تحدثت...» (كنيوك، 2011، 240)، وفي موضع آخر كشف أنه الآن في أخريات عمره يسترجع الزمن، متوقفاً عند فترة مشاركته في الحرب، ولا يملك سوى الذاكرة التي وصفها بأنها ماكرة، ويكشف في ذلك عن عدم قدرته على التذكر والتمييز بين الماضي والحلم، وذلك بقوله: «لست متأكداً مما أذكره بالفعل، وأنا لا أعتمد على الذاكرة، لأنها ماكرة، وليس فيها حقيقة واحدة، لكن، أية أهمية للحقيقة؟ إن الكذبة التي تأتي من البحث عن الحقيقة قد تكون أكثر حقيقة من الحقيقة ذاتها» (كنيوك، 2011، 23).

صفحة الغلاف وسيمائية العنوان

جاءت صفحة الغلاف على النحو الآتي:

◆ يورام كنيوك 1948

حاصل على جائزة سابير للأدب من مفعال هبايس لعام 2010

ترجمة جورج جريس فرح

إن أول ما يلفت انتباه متصفح المكتبة هو الجنس الأدبي الذي ينتمي له الكتاب، فيتساءل هل هو ينتمي لفن القصة القصيرة أم الرواية أم الشعر أم هو كتاب تاريخي؟

فقد جاء اسم الكتاب «1948» دون أي إضافة أو شرح يكشف طبيعة الكتاب وجنسه الأدبي، رغم ذلك تمكن المؤلف من جذب القارئ، وساعده على ذلك أيضاً الناشر بتوضيحه أنه حاصل على جائزة سابير للأدب لعام 2010.

الأرقام كلها مجردة إلا سنوات الحروب فهي نسبية، وذلك لأنها هي المؤثرة في التاريخ، ولأنها تحمل في طياتها مشاعر وآهات وحكايات منها ما عُرف ومنها ما ظل طي الكتمان وحبيس القلوب.

العنوان ذات دال زمني «1948»، لكن اللافت للنظر أيضاً إن المؤلف لم يزاوج بين الكلمة والرقم، أي حرب 1948، أو نكبة 1948، فهكذا جاء «1948»، وهو في الحقيقة عنوان كاف لذيوعه وانتشاره، وذلك لأنه أبلغ من الكلام عنه، فمن منا لم يسمع به، ومن لا يعرف ما يحمل هذا التاريخ، وما السر الذي وراءه، فيمكن القول إن اسم الكتاب بمثابة مغناطيس يجذب القارئ إليه، متسائلاً هل سأجد شيئاً جديداً في ذلك الكتاب؟ طامعاً في ذلك لأنه بقلم يهودي وذاكرة يهودية.

والقارئ للكتاب يلحظ أنه «أشبه بسيرة ذاتية جزئية ليورام كنيوك»، وتركز على خمسة أشهر من حياته، في العام 1948 (الأسطة، 2014)، وهي فترة مشاركته في الحرب، وبذلك هي لا تُدرج تحت فن السير والتراجم، ولا هو بقصة قصيرة أو رواية، لكن قد يتساءل البعض هل يمكنه اعتباره وثيقة تاريخية للحرب؟ ربما، يصلح؛ لأنه يتحدث حديث المجرّب وليس حديث السامع المتخيل، ولكن ليس إلى حد يكون فيها وثيقة تاريخية بمعنى الكلمة، وذلك لأنه لا يتحدث عن الحرب بأكملها وإنما عن فترة وجيزة جداً منها،

فالعربي عنده عربي أينما حل، وأينما وُجد العربي عربي وذلك بقوله: "العربي عربي حتى ولو كان بوسينياً" (كنيوك، 2011، 120).

والعربي يتسم بالفوضى، وقليل النظام والترتيب كما يراه اليهودي، يقول: "إن التنظيم عندنا وعندهم سيئ، وإن أحداً لا يعرف ماذا يفعل" (كنيوك، 2011، 137).

ويرى اليهودي العربي خائناً، حتى لو كان ميتاً بقوله: "إنه لا يمكن الوثوق بالعرب حتى لو كانوا أمواتاً، ... العرب الأموات يعودون حاملين القتل في عيونهم" (كنيوك، 2011، 146).

ونظروا إلى المرأة على أنها الوسيلة الكبرى لاستمرار عملية القتل، وذلك بقوله: "كل النساء العربيات، لسن سوى وسائل لإنتاج القتلة" (كنيوك، 2011، 147)، وذلك خلال حديثه عن السيدة الشابة التي صمدت وبصقت في وجه الجندي بعد سقوط المرأة العجوز شهيدة بضرية منه.

حتى الأطفال لم يسلموا منهم، فكل الحقد الذي بقلبه يتجسد في تعذيبه لطفل من الأطفال، وما ذلك إلا لخوفه من الجيل القادم وخوفه يكمن في أن نهايته حتماً على يديه بعد مقتل والده، في قوله: "ماذا سيحصل بعد عشر سنوات؟ هذا الولد الظريف سوف يكبر... ويطلق النار عليكم" (كنيوك، 2011، 149، 150).

بين أن العرب يموتون بلا هدف، يسقطون بلا كرامة بقوله: "تدفق الدم من فمها ومن عينيها، أخذ يصيح: انظروا كيف تتهاولي، انظروا كيف يموت العرب، وهكذا هم يسقطون أمواتاً شيئاً فشيئاً، اليهود فقط يموتون وقوفاً أو مقطعين على شجرة" (كنيوك، 2011، 148، 149)، في هذا السطر تجسيد حقيقي للصراع الإسرائيلي الدائم لليوم، فما أضعف المرأة بين يدي الرجل، إذا كان الرجل هو ذو العزم، فإسرائيل هي الدولة المسلحة، وإذا كانت المرأة ضعيفة، فإن العرب هم الضحية، وبعد ذلك يقولون العرب ينتظرون الموت بقوله شيئاً فشيئاً.

الجرة البنك البيتي المركزي عند الفلسطيني، وما الأفعى التي على بابها سوى للحراسة والحماية، ظاناً أنه بذلك يدب الرعب في قلب اليهودي، وهو بذلك يريد أن يقول إنهم لا يتقون بالبنوك، فالجرة هي بنكهم البيتي المركزي، وذلك بقوله: "سمعت أن في القرى العربية مالا كثيراً وذهباً، العرب يخبئون الذهب في الجرار، كل مالهم وذهبهم في الجرار مع الأفاعي" (كنيوك، 2011، 134، 135)، يريد إيصال شيئاً وهو أن العرب أغنياء يملكون المال، وكأنه عن مكر وخداع وحنكة يريد أن يشعر العالم أن الشعب ذا الجيوب الخاوية والأمعاء أيضاً ينام على ذهب دفين، ويريد أن يقول إنهم شعب غامض يخفي الكثير، وفي الوقت ذاته إنهم هم الدولة الصريحة فأموالهم في البنوك وهم دولة غنية وواضحون أمام العالم.

■ ب- كيف نظر اليهودي إلى نفسه؟

ينظر اليهودي إلى نفسه أولاً وإلى أبناء جلدته ثانياً، أنهم جميعاً من حقهم العيش في دولة، ومن حقهم أن يحترموا ويقدروا، بقوله: «لأن من حق اليهود أن تكون لهم دولة إذ إن اليهود في (ستالينغراد) قد حاربوا وقتل منهم كثيرون ولم يحظوا بالتقدير وبانتها الممارك هاجمهم وقتلهم لكونهم يهوداً» (كنيوك،

وطنه وأرضه (أعماله ونضاله) بأنّها أعمال شغب واضطرابات وفوضى، وذلك بقوله: «نجح العرب في الاضطرابات وأعمال الشغب التي قاموا بها لمواجهة الهجرة» (كنيوك، 2011: 60)، وأطلق اليهود على الجيش العربي آنذاك "العرمرم"، وذلك لما رأوا منظره وكثرة عدده، ويتضح بقوله: "لم نفهم من أين نبع هذا الجيش العرمرم، وأين كان مختبئاً من قبل كان رهيباً منظر تلك الحشود المتدفقة، وكأنها قطعان من القردة تتسلق الأشجار وتطلق النيران" (كنيوك، 2011، 65)، والكاتب بقوله: "وكانها قطعان من القردة تتسلق الأشجار وتطلق النار".

يسمي اليهود المدافعين بالمهاجمين، بقوله: "أخذنا نطلق النار عشوائياً باتجاه المهاجمين الذين كانوا يطلقون الصيحات" (كنيوك، 2011، 65)، فعندما تسرد بكل بساطة فإن المخاطب أو القارئ الساذج يمكن أن تنطلي عليه هذه الخدع، فهذا هو الأسلوب المتبع من كينوك إلى يومنا هذا، فالحقائق مقلوبة ووجه الحقيقة مشوه، والضحية هي الجلاذ، والجيش المعتدي هو جيش الدفاع نفسه.

وبقوله: "لمحت في لحظة كوفية من النوع الفاخر مثبتة بعقال مذهب، ومن تحتها رجل وعلى جنبه سيف. صاح موشيه: انظروا إلى هذا أتراه (رودولف فالنتينو)؛ (ممثل سينمائي أمريكي من أصل إيطالي) هتف هذا البوك جونز (من مشاهير الممثلين السينمائيين الأمريكيين) أصدقاؤنا يتهافتون ويطلقون علينا النيران، فيصيب أحدهم (فالنتينو)، ...، عندئذ عمت الفوضى واختلط الحابل بالنابل" (كنيوك، 2011، 66) نلاحظ أنه يرسم صورة رمزية ومضحكة ومبهمة في آن واحد، وكأن ما يجري هو أحداث تلفاز أبطالها خياليون، وبعد صفحتين يعود ويقول: "راح أحد القادة هناك يتمعن أوراقاً كان أحد رفاقي قد أخرجها من جيب فالنتينو ذي الكوفية والعقال الذهبي، وإذا فرغ منها قال: إنه عبد القادر الحسيني، كان هذا الرجل المتأنق القائد الأسطوري للقوات العربية بالمنطقة منذ الثلاثينيات" (كنيوك، 2011، 68)، نراه هنا يتوقف للحديث عن القيادة العربية آنذاك بأسلوب جلب انتباه القارئ، فالقيادة العربية آنذاك تمثلت بعبد القادر الحسيني الذي أطلق عليه القائد الأسطوري، وكيف استطاع هو وجيشه خوض معركة كان النصر فيها حليفهم منذ البدء، إلا أن لحظة استشهاده غيرت مجرى الأحداث بعده، فالنصر بعده لم يعد يعني شيئاً فالجميع توجهوا نحو القدس لتشييع جثمانه إلى مثواه الأخير، وهذا يدل على مكانته في نفوس شعبه، الذي لم يكتف بالتخطيط والدراسة لسير المعركة بل وجدناه في الصفوف الأولى والشهادة أمنيته، بقوله: "وكما كان يثق في الشعب، فقد كان الشعب يحبه، وكان يعلق عليه أمالاً عريضة، كما لو أنه المخلص المنتظر" (الأسطة، 2014).

وفي ذهن اليهودي أيضاً مزروع أن العرب أجمع يتسمون بالخوف والجبن وأن جيوشهم هي أردأ الجيوش، مضيفاً أنهم شعب ثرثار، يحب الكلام جداً، وتسمع صوته تخاله هديراً، لكن وقت المواجهة يلوذ بالفرار وذلك بقوله: "العرب الذين يصبحون ويذبحون لكنهم يفرون من الرصاصة الأولى، وقال إنه لم ير في حياته جنوداً أردأ منهم" (كنيوك، 2011، 115) متناسياً أنهم شعب أعزل لا يملك إلا الحجر في تلك الحرب.

العربي في نظر اليهودي سيء ولو كان من أم أمريكية،

عندهم سيء، وإن أحداً لا يعرف ماذا يفعل». (كنيوك، 2011، 137)

■ جـ - كيف نظر اليهودي إلى اليهودي المهاجر؟

من صورة اليهودي إلى ذاته إلى انعكاس صورة اليهودي المهاجر في عينه، فكيف كانت نظرة اليهودي إلى أبناء جنسه القادمين إلى أرض 1948؟ تجلّى ذلك بقوله: "أناس لم أرف في حياتي مثلهم، أتوا كانوا مرضى، مريبي النفوس، لم يستوعبوا معنى خلو البيوت، كانوا عديمي الرومانسية وأفكار العدالة، أظهروا اللامبالاة بما يجري حولهم، كل شيء كان بالنسبة لهم غريباً، تهيأ لي أني أرى بشراً آتين من كوكب آخر، لقد أتوا من سلة نفايات التاريخ" (كنيوك، 2011، 221، 222) هذا ما قاله "يورام كنيوك" بحقهم، فالكلام أبلغ من شرحة في الحقيقة، ويتابع أيضاً بأكثر من ذلك وهو موت الضمير بداخلهم، وتكشف عن ذلك أقوالهم، وعلى سبيل الذكر أن للعربي مكاناً يسير إليه، وبما أن العيون مغارف القلوب فعيونهم تترجم عن الحقد الدفين والكرهية المصنوبة إلى العالم أجمع، حتى كانوا أكثر جرأة من الإسرائيليين أنفسهم.

كشفت لنا كنيوك عن نظرته الأولى إليهم ومشاعره نحوهم، بقوله: "حين رأيتهم للمرة الأولى يتسلقون الجبال كي يعتلوا السفينة كرهتهم. فكتبت مقالة كان عنوانها: إني أكره الشعب اليهودي. لكني أحببتهم بعد ذلك. أدركت أنهم هم الأبطال" (كنيوك، 2011، 234) عادة عندما يتحدث أناس عن أبناء جنسهم ينحازون إليهم ويحرصون على تتويجهم، لكن يورام كنيوك تكلم فكتب ما رآه وليس ما سمعه أو ما الذي ينبغي أن يكتب؛ وهذا في الحقيقة يبرز جانباً من حنكة الكاتب ودهائه، فإذا اتخذ كاتب ما موقفاً عدائياً سلبياً من شخصية معينة أو جنس أو شعب معين، فما أن يشرع بالحديث حتى تستحوذ هذه الشخصية (أي صاحبة الصورة السلبية) على تعاطف القارئ، فنظرته السلبية ربما أراد من خلالها إثارة مشاعر الشفقة والعطف لدى قرائه عند قراءتهم بعضاً من مواصفات اليهود، لكن القارئ المتمعن يلحظ نكاه الكاتب الفذ، فقد استخدم وسيلة أخرى تضاهي في الحقيقة أهمية الأولى التي قدمها بطريقة سلبية، وهي أنه عاد مرة أخرى مغيراً رأيه قائلاً: "إنهم هم الأبطال الكبار"، وعلّه بذلك أراد أن يقول إن التعامل مع اليهود ليس كالنظر إليهم، موجهاً حديثه إلى كارهي الشعب اليهودي واليهود، يقصد بكلامه لو أنكم تعرفونه عن قرب لأحبتهم، تماماً كما جرى معي، أي أنا (يورام كنيوك)، فسرعان ما أنصفهم القلب والعين معاً.

ثانياً - حال الفلسطيني واليهودي خلال حرب 1984

■ أ - كيف بدأ الفلسطيني في الحرب؟

تعددت صور العربي في الأدب العبري بشكل عام، وفي كتاب "1948" بشكل خاص فقد قدم لنا المؤلف صوراً مختلفة مزاجاً بين السلب والإيجاب؛ وأهمها.

بين أنه كان خائفاً مرتجفاً ترتعد فرائصه، ولا حول له ولا قوة، يقف عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أمام العدو، وذلك لكثرتهم حوله وقوتهم عليه وضريرهم له، فالأنين هو الوسيلة الوحيدة التي عبّر بها، ثم الحشجة التي أسلمت روحه إلى السماء، وذلك خلال حديثه عن أول قتل عربي رآه في حياته يموت ظلماً، وذلك بقوله: "كان يرتجف وينتفض، وقد تدفق الدم من أنفه... وذلك بعد أن انهالوا بالضرب عليه، وداسوه بالأقدام جعل يئن... أصدر الرجل حشجة

2011، 114) فإن الدولة في نظر اليهودي حق لا تنازل عنه، وهي ضرورة من ضرورات الحياة لإشباع نقص وسدّ ثغرات في نفس العائدين من التيه.

يرى أن أرض فلسطين هي الوطن، وما سواها غربة وتشرد وضياح، بقوله: "لن أعود إلى المنفى ثانياً" (كنيوك، 2011، 60) فيرى نفسه مشرداً طريداً بعيداً عنها فيقول: "ولا أنتقل من هنا إلى الأبد" (كنيوك، 2011، 60) جاء ذلك في جواب رسالة من يهودي إلى أهله "على ورقة بسيطة، رمادية بلون التراب/ مضت رسالة إلى المنفى/ كتبها طلائعي بدمع العين/ في عام الفوضى والشغب في أورشليم/ أمي المريضة اعذرني/ لن أعود إلى المنفى ثانية/ فإن أحببتني حبا حقيقياً/ تعالي إلى هنا وعانقيني/ فلا أبقى مشرداً طريداً! / ولا أنتقل من هنا إلى الأبد.../" (كنيوك، 2011، 60)

وكشف عن جانب من القيادة العسكرية الإسرائيلية أيضاً، وذلك من خلال حديثه عن مواقفها أثناء الحرب، يأتي في البداية على موقفها يوم أرسلت ثلاثة وعشرين جندياً للدفاع عن ستة فقط، وكل واحد من هذه المجموعة يعدّ أسطورة بحد ذاتها على حد قوله، ويتساءل فهل هم جاؤوا دفاعاً عن الجنود الستة أم عن إقامة الدولة؟ أم عن الاثنين معاً، فهما تحصيل حاصل لبعضهما البعض، متيقناً أن الدولة بدون قادة لا تقوم، وأن غيابهم أشبه بغياب الشمس، ويتجلى ذلك في قوله: "في ذلك الوقت جاز لي الاعتقاد أنه بدون "ناحوم أرئيل" ورفاقه لن تقوم الدولة، وأن بغيابه غابت القوة التي بإمكاننا المحاربة من بعدها" (كنيوك، 2011، 71، 72)، فهو بوجهه أو بأخر يكشف أن قوة الجنود مردّها إلى القيادات، وطاقتها من طاقة القيادات ذاتها، وبين كيف يؤثر دور القائد في عزائم الجند، فبين حين وآخر يحرك همهم ويشحذهم بما في جعبته، وذلك يظهر جلياً عندما نفذت جعبة العدو من الأسلحة اللازمة والكافية، فالسلاح ليس هو كل شيء، وإنما القدرة والطاقة والإرادة تحقق النصر أيضاً، وبذلك هو يحثهم على الإصرار والتحدي والثبات على المبدأ حتى النهاية، بقوله "ظهر بيني ما شك ذات مساء وألقى محاضرة على مدار الساعة عن الحالة الوطنية وعن الحرب، وعن أننا لا نملك سلاحاً لكننا سنحارب بأيدينا، بأسناننا وبقبضات أيدينا، بأرجلنا، وبطوننا، وظهورنا، وسوف نقهر العدو المرير، ونحتل أرض فلسطين و سننتصر" (كنيوك، 2011، 104)، وكأنه يشبه القائد الناجح بالساحر الذي يلقي تعويذته فتتبعه بلا تردد.

عاد المؤلف مرة أخرى وتحدث عن القيادة، فإذا كان قدّم صورة إيجابية أولاً، فإنه قدّم صورة سلبية أيضاً بقوله: "أخذنا نبحت عن القائد الذي هرب" (كنيوك، 2011، 177) فلم يجدّ بدمه و بنفسه فداءً لأهدافهم وتحقيقاً لاحتلالهم خلافاً لأولئك الذين قدموا دماءهم ثمناً لقيام دولتهم المزعومة على أنقاض دولة فلسطين، وترى الباحثة أن هذه الطريقة من النقد الذاتي الصادق والصراحة المتناهية مع الذات، هي السلاح الذي حارب فيه اليهود أخطاءهم لدرجة جعلت منهم هذا الشعب المنظم، ووضع لهم أسطورة الجيش الذي لا يقهر.

ويرى اليهودي نفسه قد وصل إلى درجة من النظام والتخطيط والاستعداد، لم يصل إليها أحد، وذلك بقوله: "إن التنظيم عندنا،

(2011، 218)، فأى منا العابر إذًا!، ويؤكد ذلك من خلال كشفه عن القانون الذي طبقته السلطات الاسرائيلية آنذاك وهو قانون "الحاضر الغائب" والذي ينص على أن "كل عربي غادر مدينة تم احتلالها قبل الرابع عشر من أيار 1948، وخرج في زيارة، أو لشراء حاجة حتى لو لمجرد زيارة قريب له في مكان آخر خارج نطاق إسرائيل، ثم عاد، يعتبر أنه لم يكن هنا حين غادر. فهو حاضر لأنه هنا، وهو غائب لأنه لم يكن!" (كنيوك، 2011، 220، 221) وبقوله: "كانوا كثيرين ويقظين" (كنيوك، 2011، 66) يكشف عن كثرة عدد العرب واستعدادهم وتجهيزاتهم، فقد قذف عددهم في قلوب اليهود الرعب، فقد خيل إليهم أن قرده تتسلق الأشجار وتطلق النيران، وذلك بقوله: "كان رهيباً منظر تلك الحشود المتدفقة، وكأنها قطعان من القرود تتسلق الأشجار وتطلق النيران" (كنيوك، 2011، 65).

يُطعن العربي بأنه عديم الكرامة، في حين يتحطم العدو نتيجة ابتسامة العربي الصامد في بيته، يجلس جلسة عربية في بيته فوق بطانية ممزقة، وبين قسماص وجهه ابتسامة ازدراء وتحذ وصمود واستخفاف، فهذه الابتسامة كانت وراء الأمر بقتل كل من في القرية حتى القطط، كما جاء في قوله: "يبدو أنه كان نوعاً من رجل فرد يحاول أن يكسب الحرب عن طريق ابتسامة استخفاف وازدراء. أخذ ناحوم يصيح: يجب قتل كل فرد في هذه القرية، فحتى القطط في هذه القرية عربية، بدا محطماً جزاءً ابتسامة العربي تلك" (كنيوك، 2011، 144) فأثر الاستشهاد على أنقاض بيته من العيش على ثرى آخر. فهل يوجد بعد ذلك كرامة؟

■ ب- كيف بدا اليهودي في الحرب؟

تكشف الرسائل المبعوثة إلى ألمانيا عن حال اليهود في أوروبا وفي العالم، فقد كتب "يورام كنيوك" رسالة إلى الطفل اليهودي يقول: "أيها الطفل اليهودي العزيز أكتب إليك، أنا يورام ك. من المدرسة النموذجية في تل أبيب. أهرّب سريعاً وتعال إلى أرض إسرائيل. لأنك إذا لم تفعل موتاً تموت" (كنيوك، 2011، 57) هذه الرسالة تكشف عن حقيقة قيام إسرائيل، وأيضاً تكشف عن حال ووضع اليهود آنذاك، فلو لم يأتوا إلى أرض إسرائيل على حد تعبيره لكان الموت سحقهم سحقاً، بقوله: "موتاً تموت"، ولفظة "أهرّب" وتدل على استيقاظهم واستعمارهم فلسطين عن طريق الهجرات المتتالية، ولولا ذلك الزحف البشري لما كانت أساساً إسرائيل، وما سبب هذا الزحف إلا الاضطهاد والمعاناة التي واجهها اليهود، وصور السفن المحملة بالمهاجرين، كيف جاءت ورست على شواطئ عكا وحيفا، ليقول اليهود إنها أرض آبائهم وأجدادهم فيما بعد، لكن القارئ يستوقفه اختيار الكاتب الطفل، فلماذا لم يختار رجلاً أو امرأة، وذلك لأن الطفل قادر على إثارة عواطف القارئ وعلى أي حال بدأ اليهودي طريداً مشرداً متسللاً إلى أرض فلسطين عن طريق الهجرة غير المشروعة.

صوّر الكاتب كيف انقض اليهود على العربي، وكانهم ينقضون على فريسة وقعت بين أيديهم، يريدون التنكيل، يتضح ذلك خلال حديثه عن قصة القتل العربي المظلوم، حيث كان أول قتل عربي رآه يورام بعينيه، وكأنه بضربه هذا يريح صدره من كل ما عاناه بالمنفى، وزاعماً أن السبب في كل ما واجهه هو العرب، بالتأكيد لم يقف اليهودي موقفاً عادلاً من دفاع العرب عن أراضيهم

كانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها إنساناً يموت" (كنيوك، 2011، 54) وذلك بعد أن وقف بين أيديهم مسكيناً مرتبكاً يحاول الدفاع عن نفسه، لكن لا أحد يصدقه، ولا حتى يسمع ماذا يقول: "بأنه ليس من أطلق النار" (كنيوك، 2011، 54)

كشفت عن يقظة العربي وتنبيهه للأحداث الجارية حوله ومواجهته لها، فهو لم يقف مكتوف الأيدي أمام توافد المهاجرين إلى فلسطين، وإنما حاول جاهداً إيقاف هذا الزحف البشري، فقد نجح في ذلك آنذاك، وذلك بقوله: "ونجح العربي في الاضطرابات وأعمال الشغب التي قاموا بها لمواجهة الهجرة، فأوقف الانجليز الهجرة". (كنيوك، 2011، 60)

وأوضح أن قوة الجيش آنذاك مستمدة من القادة، فرسم لنا صورة للجيش العربي ووصفه بالمرمر، لكثرة الجيش أولاً وبسالته وشجاعتهم وقدرتهم على إزاعة الرعب في صفوف العدو، جيش متفائل مندفع، يقدم أعلى ما يملك في سبيل وطنه، وهذا ما نراه جلياً في استشهاد القائد عبد القادر الحسيني، فقد كان الأمل لوطنه ولأبناء وطنه، بإخلاصه وحبه وتضحيته، وفي الحقيقة استشهاد نصر وخسارة معاً، نصر لأنه نال الشهادة، وخسارة لأنه هل هناك نصر بلا قائد؟ فاستشهاده غير مجرى الأحداث، أراد "يورام كنيوك" من خلال حديثه عن استشهاد عبد القادر الحسيني تسليط الضوء على القيادات في ذلك الحين، فلم تكتف بالتخطيط وشحن الهمم في صفوف المقاتلين بل خوض المعركة حتى الشهادة. في حين ترك المقاتلون المعركة خلفهم وعادوا إلى القدس لتشجيع جثمانه الطاهر، وبذلك أراد أن يكشف عن مكانة القائد في نفوس أبناء شعبه وحبهم له وإخلاصهم له لا ينتهي حتى بعد موته، وذلك بقوله: "رأيناهم في أوج انتصارهم ينسلون من بين الجثث متقهقرين، اتضح أن المقاتلين العرب لشدة حزنهم على موت الرجل، بدل أن يحتلوا الجبل، تركوا الجبهة وعادوا إلى القدس لتشجيع جثمان قائدهم في جنازة مهيبه شارك فيها الألوف" (كنيوك، 2011، 68).

وعندما يسرد لنا كيف طرد العرب من أراضيهم وبيوتهم، وكيف تم إقصاؤهم بعيداً عن وطنهم، كشف كيف تم تهجير كل العرب حتى الذين يعودون في أصولهم إلى جذور ليست عربية، فحتى ذلك لم يشفع لهم، فالعربي عربي، جميعهم تم طردهم خارج وطنهم، وبعد ذلك جاء اليهود وقالوا: أرض بلا شعب، أم أن العرب كانوا مارين مروراً عابراً من هنا؟ ربما، وذلك بقوله: "كانت قافلة اللاجئين ما تزال بادية للعيان في البعيد، وكانوا يرتدون المعاطف والقبعات، بدوا كمنال تلتهم الرمال" (كنيوك، 2011، 122)

يصف في موضع آخر كيف كان أهالي البلاد على الحواجز يبيكون يريدون العودة إلى ديارهم وبلادهم، لكن هل من مجيب؟! وذلك بقوله: "قرب حاجز طويل في جانب الطريق رأيت الكثيرين من الناس محتشدين. النساء يبكين، والأطفال يولولون ويستعطفون. صرخ الأطفال بغضب وألم. كذلك صرخ الأطفال وبكوا" (كنيوك، 2011، 219)، وبذلك ينفي الكاتب نفسه أن يكون العرب مارين مروراً عابراً من هنا، فهل هناك أحد استمع إلى هذه الاستغاثات والنداءات؟ لكن عيونهم فوراً أبصرت أن هناك أرضاً خالية حالياً، وذلك بقوله: "بعد يومين أو ثلاثة من مجيئي، عرّجت على مهل على اللد المجاورة، والتي كانت هي الأخرى خالية من السكان" (كنيوك،

من دعاة التعايش مع العرب، ولم يكن ضد طردهم أو ضد الانتقام منهم، بل إنّه وقف أحياناً ضد المقاتلين الإسرائيليين الشرسين الذين أجزموا بحق نساء عربيات وأطفال عرب ما جعله موضع سخرية من الجنود القساة الذين كانوا يرون في المرأة العربية أفعى، وفي الطفل العربي مشروعا إرهابياً سيقتل اليهودي إن لم يقتل. (الأسطة، 2014)

أما منظر العرب المطرودين من بلادهم وأراضيهم والمستغيثين ولا من مجيب لهم ألمه وأحرقه، وذلك بقوله كانت: "قافلة اللاجئين ما تزال باادية للعيان من بعيد بدوا كمنال تلتهمهم الرمال... انتابني الغم، لكنني لم أفعل شيئاً" (كنيوك، 2011، 122) في موطن آخر يقول: "أحسست أنني شريك في جناية، وأن الوجدانية التي رافقتني في طفولتي وحدثتي والتي اعتمدت عليها دائماً قد غفت بداخلي في اللحظة الحاسمة فماذا كان بوسعي أن أفعل؟ هل أقاتل الدولة التي كنت لتوي أساهم في بنائها" (كنيوك، 2011، 220)، وبذلك يكشف لنا عن صراعه الذاتي مع نفسه وذلك بعد رؤيته المشردين اللاجئين يستغيثون على الحواجز صارخين باكين.

وظنّ أنه بمجرد انتهاء الحرب سيعيش اليهود مع من تبقى من العرب بأمن وسلام، سيعيشون إخوة الشعوب أي بتسالم وتصافح وتعايش لسنين طويلة دولة إلى جانب أخرى، وذلك بقوله: "اعتقدت أن الحرب قد انتهت ظننت أن العرب سوف يسالمونا وسالمهم في نهاية الأمر فنعيش لسنين طويلة في دولتين" (كنيوك، 2011، 240)

والسؤال الذي يفرض ذاته هو هل كان الميل الى السلام والتعايش والتعاطف مع العرب شأن غيره من الجنود؟ ربما، لكنّه لم يبد أي شيء من خلال حديثه.

الخاتمة

احتوت الدراسة مقدمة ومحورين حاولت من خلالها عقد مقارنة بين تصوير اليهود لأنفسهم، وللشخصية الفلسطينية خلال حرب (1948)، مشيرة إلى صورة حرب (1948) في الذهن الإسرائيلي، وذلك من زاكرة وقلم إسرائيلي، وعقب ذلك تقف الباحثة متسائلة ماذا يريد (كنيوك) من هذا الكتاب؟ فهل كتبه بدافع الندم أم بدافع التبرئة أي تبرئة ضميره أمام التاريخ أم لوضع حد لهذا الصراع، وكأنّ الأدب يمنح الأديب حصانة لقول ما يريد، ربما.

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. نظر (يورام كنيوك) إلى الفلسطيني نظرة دونية، وقدّم لهم صورتين صورة سلبية، وأخرى إيجابية، ومن الجدير ذكره أنّه استهل بالصورة السلبية، فقد صورّه كاذباً، خائناً، جبائياً، أما الإيجابية فصوّره قوياً مدافعاً يقظاً. وأطلق على الجيش العربي لفظة العرمم وذلك لكثرة عدده، وقدّم صورة إيجابية مشرقة عن القيادة العربية، وأكد أنّ قوة الجيش مستمدة من قوة القائد. وكشف عن خوف الإسرائيليين من النساء العربيات كونهنّ الوسيلة الكبرى لإنجاب المدافعين، ومن الأطفال لأنهم الجيل القادم.

2. نظر (يورام كنيوك) إلى نفسه أنّه من حقه، ومن حق أبناء جلدته العيش بحرية وتقدير، ويرى أنّ فلسطين هي الوطن،

وطنهم، إذ وصف قيامهم بالدفاع عن أنفسهم بالاضطرابات والشغب والفوضى، وبذلك يكشف عن استيائه، وأفصح عن تفاجؤ اليهود بالجيش العربي، ويتجلى ذلك بوضوح في قوله: "لم أفهم من أين نبع هذا الجيش العرمم، وأين كان مختبئاً من قبل" (كنيوك، 2011، 65)، فإنّه زلزل أفتدتهم بدءاً بالقيادة إلى الجيش، وذلك بقوله: "بدا كوشي لوهلة مرتبكاً مثلنا، ودبّ الرعب بحاييم ق..، فقفز قفزة جنونية وانطلق نحو قبر الشيخ بجانب الطريق أسفل الجبل" (كنيوك، 2011، 65)، وكشف أيضاً أنهم أخذوا بعد ذلك يطلقون النار على غير هدى، بقوله: "أخذنا نطلق النار عشوائياً باتجاه المهاجرين الذين كانوا يصيحون" (كنيوك، 2011، 65)، ويقول: "اعتقدت أننا لن نخرج من هناك أحياء... وأدركنا أن نهايته قد دنت" (كنيوك، 2011، 65)، يفصح لنا عن حال المقاتلين الجنود فقد رأوا عيونهم الموت. ويكشف أيضاً عن قلة الجيش اليهودي أمام مئات الجيوش العربية وذلك بقوله: "كُنّا عشرة من المحاربين المنهكين" (كنيوك، 2011، 65)، ويقول: "لم يبقَ لدينا من الذخيرة سوى القليل" (كنيوك، 2011، 66)، أيضاً يكشف عن قلة عدتهم وعدادهم، في قوله: "أردنا أن نطلق النيران على هؤلاء الجزائريين، لكننا لم نستطع، فلم يكن أحد من رفاقي يملك الذخيرة" (كنيوك، 2011، 67)

وبين أنّ اليهودي مقاتل يملك الشجاعة والجرأة، وذلك إيماناً لما في ذهنه، وهو أنّ القتل السبيل إلى الدولة، تجلى ذلك بقوله: "وهو يقتل منهم قدر استطاعته، فإن لم يفعل ذلك لن تكون لكم دولة" (كنيوك، 2011، 115)، وأكد أنّ ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة، فبالدم والنار سقط وقتل اليهود، وبالدم والنار تقوم الدولة اليهودية، بقوله: "وبما أنّ يهودا سقطت بالدم والنار، فبالدم والنار تقوم يهودا" (كنيوك، 2011، 124، 125)، وبذلك يؤكد أنّ اليهود يطردون العرب من بيوتهم ومن بلادهم، ليحلّ على أنقاضها دولتهم، دولة أحلامهم، ويدعم ذلك بتصوير اجتياهم البحار والمحيطات بالهجرات المتواصلة وغير الشرعية إلى أرض فلسطين، بقوله: "إنّ اليهود يسبحون إلى فلسطين". (كنيوك، 2011، 237)

توقف الكاتب أيضاً عند دعم ومناصرة العالم لإسرائيل، وسلط الضوء على دور روسيا، فقد كشف أنّها تزودهم بالسلاح والعدة والعداد اللازم لهم، بعد إرسال سفن المهاجرين أيضاً، وذلك بقوله: "وبما أنّ الروس كانوا على رأس الداعمين لإقامة دولة يهودية، فقد أصدرت تعليماتهم بإرسال الأسلحة إلى فلسطين، تمّ نقلها إلى البلاد بطرق غير شرعية". (كنيوك، 2011، 129)

ثالثاً - كيف نظر يورام كنيوك إلى الحرب؟

كان ليورام كنيوك نظرتة الخاصة، فنظر إلى الحرب من منظار ميّزه من غيره، ففي البدء كان تابعا لحركة (همحنوت هعوليم) وتهدف هذه الحركة إلى تحقيق الصهيونية في فلسطين لنجده بعد مشاهدته بعينه قتل العربي ظلماً وافتراءً يسارع إلى الانضمام لحركة (هشوير هستمير) وهذه الحركة كانت تدعم الفكرة القومية المزدوجة، وهو بذلك يكشف لنا عن أفكاره ومبادئه ونظرتة للحرب ولقيام دولة يهودية، فهو من أنصار السلام والتعايش مع العرب، ويتضح ذلك من خلال حديثه عن قتل الأطفال والنساء، وتحرك مشاعره نحوهم ما جعله موضعاً للضحك والسخرية بين الجنود القساة بألفاظ غير لائقة، ومع أنّه شارك في الحرب إلا أنّه كان

- وتد، ميسرة (2018) : صورة العربي في الرواية العبرية الإسرائيلية (2005 - 2016) ، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور عدنان الجواريش والدكتور غانم مزعل، فلسطين: جامعة الخليل.

المصادر والمراجع العربية مترجمة:

- Aadel Al'usta, *Hebrew Modern Literature: Kaniuk, Yuram 1948, Al Ayyam .copy No.6559, year 19. April. Palestinian . 2014*
- Abu Al-Aynayn, Fathi (1993): *The Image of the Self and the Image of the Other in the Narrative Discourse, Issue 131, Cairo Magazine*
- Shaker, Abd al-Hameed (1996): *The Self and the Other in the Creativity Process, Brief Magazine.*
- Alaam, Omar(2005): *The Ego and the Other, the Arab personality and the Israeli personality in Contemporary Israeli Thought, 1st Edition, Cairo, Dar Al Uloom for publishing and distribution*
- Alaam, Omar(2005): *The False Myth: The Departure of Zionism and the Search for an Alternative (A Study in Israeli Literature), 1. Cairo, Dar al-A'laam for publishing and distribution*
- Garra, Omar (1991): *The Zionist thought between Stereotypes and Individual Perceptions in Modern Hebrew Literature, 1st Edition, Palestinian Writers Union Publications*
- Farhaat, Safa (2016): *The Image of the Arab in Arab Literature and the Image of the Jew in Palestinian Literature 1880-1980, 1st, Haifa, Everything book store*
- Ghassan, Kanafani (1982): *In Zionist Literature, 2nd Edition, Beirut, Lebanon, The Arab Research Institute*
- Kaniuk, Yuram(2011).1948 , translated by Georges Farah. *Published by Everything Book Store-Java*
- Al Maysari, Abd Al Wahhab (1999): *Encyclopaedia of the Jews, Judaism and Zionism, Dar ash Shorouq*
- Johnny, Mansour (2009): *Dictionary of Zionist and Israeli Media and Terms, 1st Edition, Al Muhtadeen Library*
- Wataad ,Maysara (2018): *The Image of the Arab in the Hebrew-Israeli novel (2005-2016), an unpublished Master's thesis, supervised by Dr Adnan Al Jawareesh and Dr. Ghanem Maz'al, Hebron University, Palestine.*

المراجع الإلكترونية:

- إبراهيم رزان (2014) : النظر في مرايا الآخر: صورة العربي في الرواية الإسرائيلية، (on-line) ، متاح: النظر في مرايا الآخر: صورة العربي في الرواية الإسرائيلية (alhadath.ps)
- أيوب محمد (2005) : صورة العربي في الأدب العبري، دنيا الوطن (on-line) ، متاح: صورة العربي في الأدب العبري بقلم: د. محمد أيوب | دنيا الرأي (alwatanvoice.com)
- الجبوري عبد الوهاب (2006) : صورة العربي في أدب الحرب العبري، دنيا الرأي. (on-line) ، متاح: صورة العربي في أدب الحرب العبري أول دراسة من نوعها بقلم: عبد الوهاب الجبوري | دنيا الرأي (alwatanvoice.com)
- حوماني دارين (2021) : الفلسطيني في الأدب الإسرائيلي: حضور متسلل لضمير غير متطهر، الميادين للثقافة والفنون (on-line) ، متاح: الفلسطيني في الأدب «الإسرائيلي»: حضور متسلل لضمير غير متطهر | الميادين (almayadeen.net)
- خاص: مجلة فكر الثقافية (2018) : صورة العربي في الأدب الصهيوني. (on-line) ، متاح: مجلة فكر الثقافية - صورة العربي في الأدب الصهيوني

وما سواها ضياع وتشرذم. وقدّم صورتين للقيادة الإسرائيلية، صورة إيجابية وأخرى سلبية، فالأولى تجلّت بدور القائد في شحذ الهمم، وظهرت الثانية في هروب أحد القادة ذات يوم. أمّا اليهود المهاجرون إلى فلسطين فجاءت صورتهم سلبية، فقد كشف أنّهم مرضى، مريرو الأنفس.

3. كشفت الدّراسة عن حال الفلسطينيين حين تمّ إخراجهم من بيوتهم وأرضهم، وذكّرت استغاثتهم واستنجادهم، وكشفت عن حال الإسرائيليين إبّان الحرب أيضاً، فصرحت بالرسائل المرسلة إلى يهود العالم لجلبهم إلى فلسطين. ذكرت الدّراسة قلة الجيش الإسرائيلي أمام الجيوش العربية في الحرب، وأشارت إلى مساعدة ودعم العالم للإسرائيليين، وخاصة روسيا.

4. أبان يورام كنيوك عن موقفه من حرب 1948، فقد ألمه وأحرقه منظر تهجير الفلسطينيين، وبذلك نجده ينضم لحركة «هشومير هتسعير» والتي تؤيد الدولة المزدوجة، بعد أنّ صار تابعاً لحركة «محنون هعوليم»، وصرّح عن اعتقاده أنّه بمجرد انتهاء الحرب ستعيش الدولتان بأمان وسلام.

المصادر والمراجع العربية:

- الأسطة، عادل. (2014) . من الأدب العبري الحديث: يورام كانيوك... 1948، الأيام، ع، 6559، السنة التاسعة عشر، نيسان، فلسطين.
- أبو العينين، فتحي. (1993) : صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي، ع. 131، القاهرة: مجلة القاهرة.
- شاكرا، عبد الحميد (1996) : الذات والآخر في عملية الإبداع، مجلة سطور. نقلاً عن علام، عمرو (2005) : الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ط1، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص12.
- عمرو، علام. (2005) : الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ط1، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع.
- عمرو، علام. (2005) : الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل (دراسة في الأدب الإسرائيلي) ، ط1، القاهرة: دار الأعلام للنشر والتوزيع.
- غرة، عمر. (1991) : الفكر الصهيوني بين التصور النمطي والتصوير الفردي في الأدب العبري الحديث، ط1، فلسطين: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
- فرحات، صفا (2016) : صورة العربي في الأدب العبري وصورة اليهودي في الأدب الفلسطيني 1880 - 1980، ط1، حيفا: مكتبة كل شيء.
- كنفاني، غسان (1982) : في الأدب الصهيوني، ط2، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- كنيوك، يورام. (2011) . كتاب 1948، ترجمة جورج جريس فرح، د. ط (، حيفا: مكتبة كل شيء.
- المسيري، عبد الوهاب (1999) : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، ج6، رام الله: دار الشروق.
- منصور، جوني (2009) : معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية و الإسرائيلية، ط1، رام الله: مكتبة المهتمين.

- (fikrmag.com)
- دوابشة محمد (2004) : صورة العربي في الرواية الإسرائيلية) مؤتمر الأدب منصة للتفاعل الحضاري، جامعة مؤتة - الأردن. (on-line)، متاح: صورة العربي في الرواية الإسرائيلية) في مؤتمر دور الادب كمنصة للتفاعل الحضاري - جريدة الغد (alghad.com)
- الصوّاف محمد توفيق (2006) : صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، ديوان العرب (on-line)، متاح: - aladab_2002_v50_11_12_0017_0027.pdf (al-adab.com)
- عيساوي كريمة (2021) : صورة الآخر الفلسطيني في الأدب العبري الحديث. (on-line) ، متاح: صورة الآخر الفلسطيني في الأدب العبري الحديث - عروبة الاخباري | Oroba News
- ----- (2013) . وفاة الكاتب الإسرائيلي الشهير يورام كنيوك، وكالة وطن، (on-line) ، متاح: استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي الشهير يورام كانيوك (kuwait.tt)
- ----- (2013) . وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك عن 83 عامًا، وكالة الوسط البحرينية، (on-line) ، متاح: استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك عن 83 عاما | دولية - صحيفة الوسط البحرينية - مملكة البحرين (alwasatnews.com)
- ----- (2013). وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كنيوك المناضل للسلام والعلمانية، وكالة عمون الاخبارية، (on-line) ، متاح: استرجعت من وفاة الكاتب الإسرائيلي يورام كانيوك المناضل للسلام والعلمانية | الثقافة | وكالة عمون الاخبارية (ammonnews.net)
- ----- (2013) . وفاة كاتب إسرائيلي "مناضل للسلام" ، وكالة سكاى نيوز، (on - line) ، متاح: استرجعت من وفاة كاتب إسرائيلي «مناضل للسلام» | أخبار سكاى نيوز عربية (skynewsarabia.com)

المراجع الإلكترونية مترجمة:

- Ibrahim, Razan (2014): *Looking in the mirror of the Other: Image of the Arab in the Israeli novel, Taken from Al-Hadath.*
- Ayoub, Mohammed (2005): *Image of the Arab in Hebrew Literature, Dunya al-Watan, taken from Alwatanvoice.com.*
- Al Jabouri, Abd al-Wahab (10/8/2018): *The image of the Arab in Hebrew war literature, Dunya al-Watan, taken from AlWatanvoice.com*
- Humani, Dureen (2021): *The Palestinian in Israeli Literature is an intrusive form of an impure conscience, Al-Mayadeen, taken from Almayadeen.net*
- Cultural thought magazine (1/7/2018): *Image of the Arab in Zionist Literature, taken from fikrmag.com*
- Dawabsheh, Mohammed (2004): *The image of the Arab in the Israeli novel, The Literature Conference is a platform for civilized interaction, Mu'tah University, Jordan, taken from Arab American University.*
- Al-Suaf Mohammed Tawfiq (30/3/2006): *The image of the Arab in Israeli Literature, taken from Diwan al Arab.*
- Eesawi, Kareema (17/5/2021): *The final/other image of the Palestinian in Modern Hebrew Literature taken from Oroba News.*
- ----- (2013) *The Death of Yuram Kaniuk, Watan News Agency.*
- ----- (2013) *The Death of the Israeli Novelist, Yuram Kaniuk, age 83, Alwasatt News Agency.*
- ----- (2013) *The Death of Yuram Kaniuk, Peace & Globalization Activist, Ammon News Agency.*